المغرب الاقصى في عهد السلطان المنصور السعدي ١٥٧٨ – ١٦٠٣

د. عبد الجليل مزعل بنيان

د. حيدر شاكر عبيد

الجامعة المستنصرية – كلية التربية – قسم التاريخ

المغرب الاقصى في عهد السلطان المنصور السعدي
١٥٧٨ – ١٦٠٣

د. عبد الجليل مزعل بنيان

د. حيدر شاكر عبيد

المقدمة :

تعد المرحلة التاريخية التي تسلم فيها المنصور السعدي الحكم في بلاد المغرب الاقصى (١٥٧٨ – ١٥٠٣) من الحقب التاريخية المهمة ، إذ تمكن هذا السلطان من بناء دولة وحكومة مركزية قوية تمثلت في بالمؤسسات العسكرية والادارة الداخلية ، إذ استطاع من القضاء على معارضيه . وما ان تم له ذلك حتى اخذ يرنو الى توسيع مملكته ، وهذا ما حصل له بعد زحفه نحو السودان وضمها تحت حكمه فقد استطاع ومن خلال الذهب المتواجد في هذه البلاد من تعزيز ثروات البلاد وتسخيرها للانفتاح نحو الدول الاوربية فضلاً عن سيطرته على الطرق التجارية التي اصبحت مركزاً لتبادل السلع والمنتوجات .

كان من مظاهر الازدهار والتطور لبلاد المغرب الاقصى في عهد المنصور السعدي ، بناء علاقات سياسية واقتصادية مع الدول الاوربية ممثلة ببريطانيا وفرنسا وأسبانيا وحتى الدولة العثمانية ، والتي اعطت ثمارها بأن اصبح المغرب الاقصى من الدول المهمة التي يحسب لها الحساب بالاتفاقيات الدولية .

الا ان الازدهار والتطور لم يستمر ، فقد تدهورت اوضاع البلاد بعد وفاة المنصور السعدي عم ١٦٠٣ ، بعدها اصبحت البلاد عرضه للتنافس الداخلي من أجل الحكم وبروز الحركات المعارضة التي كان هدفها الانفصال وتمزيق البلاد .

أولاً : أوضاع المغرب الاقصى بين عامي ١٥٧٦ – ١٥٧٨ م .

كان لهذه الحقبة التاريخية أثرها الواضح في رسم ملامح السياسة الداخلية والخارجية لبلاد المغرب الاقصى تمثلت بوصول السلطات السعدي (عبد الملك بن محمد الشيخ)[١] إلى الحكم في البلاد ، وقد سار الأخير في إدارة شؤون البلاد وفق المنهج العثماني بعد ان تأثر به تأثير واضحاً ، إذ عمد حال تسنمه الحكم الى تشكيل الجيش الذي كانت قاعدته الرئيسية

العناصر العثمانية وبعض المرتزقة المتواجدين على ارض البلاد ، كما اشرف بنفسه على متابعة وتطوير الترسانة العسكرية المتمثلة بالمدفعية والاسلحة العسكرية الخفيفة .[٢] .

كذلك استمر السلطان عبد الملك في منهجه السياسي الخارجي والذي هو منهجاً تقليدياً للدولة السعدية في بناء حالة من التفاهم مع الاسبان[٣].

ويظهر ان السبب في ذلك لدرء الخطر العثماني وإعلان حالة عدم الولاء لهم فضلاً عن ضمان الدعم الاسباني له ضد ابن أخيه (محمد المتوكل)[٤] الذي لجأ إليهم .

وتعود علاقات السلطان عبد الملك مع الاسبان الى ايام تواجده في المنفى لدى الدولة العثمانية ، ففي عام ١٥٧٢ راودته فكرة التوجه الى اسبانيا اذ كان وهو في المنفى يطلع الملك الاسباني على كل التطورات التي تحدث داخل البلاد العثماني وبعدما تولى الحكم في البلاد تعهد من خلال المعاهدة التي عقدها مع اسبانيا بعدم استخدام اي من العثمانيين في ادارته ، فضلاً عن عدم مهاجمته لاسبانيا حتى ولو طلب منه ذلك من قبل العثمانيين وان يبلغ السلطان الاسباني بنوايا السلطان العثماني تجاه اسبانيا ، كما تعهد الطرفان بعدم تقديم المساعدة للعثمانيين وان يتبادل الطرفان المساعدة ضد العثمانيين [٥] .

وبالرغم من هذا التعاون مع الاسبان ، الا ان السلطان عبد الملك اتبع سياسة حذرة مع العثمانيين تميزت ملامحها عن طريق دفع مبالغ كبيرة اليهم وتقديم بعض المدافع كهدية للسلطان العثماني ، فضلاً عن تعهده بعدم التدخل بشؤون الجزائر كذلك اصدر اوامر بالدعاء للسلطان العثماني على منابر المساجد في المغرب الاقصى[٦].

يبدو ان اقدام السلطان على هذه السياسة مع العثمانيين ، ماهي الا محاولة منه لتجنب خطرهم وبخاصة انهم كانوا متواجدين بالمغرب الاوسط (الجزائر) ، فضلاً عن قوتهم الناشئة التي لا يستهان بها في ذلك التاريخ .

الا ان هذه الامور لم تستمر طويلاً فقد جاءت معركة وادي المخازن والتصادم مع البرتغاليين بتطوراً ملحوظاً في سياسة البلاد الداخلية والخارجية [٧] .

١. معركة وادي المخازن :

لم تبدأ السياسة البرتغالية اهتماماً كبيراً بشؤون المغرب الاقصى في عهد الملك البرتغالي جان الثالث (JAN III) والذي حكم البلاد في للمدة من (١٥٢١ – ١٥٥٧) ويبدو ان السبب في ذلك توجه البرتغال صوب البرازيل .

إلا ان هذه السياسة تغيرت بعد ان تسلم الحكم في البرتغال الملك سبستيان (sabstein)(١٥٥٧–١٥٧٨)[٨] ابدا الاخير اهتماماً كبيراً بالتوجه نحو المغرب الاقصى ، ويعود هذا الاهتمام الى الوسط الذي عاش فيه الملك سبستيان وهو وسط ديني معتصب حاول ان يثبت بأنه بطل كاثوليكي في صراعه ضد البروستانت والدين الاسلامي [٩].

ففي عام ١٥٧٣ تمكن سبستيان من الحصول الى تجديد من البابا مدته خمسة اعوام للمنشور البابوي المسمى (الحروب الصليبية المقدسة)[١٠] .

وما ان تم لسبستيان هذا الام حتى جهز في عام ١٥٧٤ حملة عسكرية منظمة ضد المغرب الاقصى ، اذ نزلت قواته في مدينة (طنجة) [١١] المغربية ، الا ان حملته هذه لم تؤتي أكلها ، وذلك بسبب ما لاقاه من مقاومة مغربية كبيرة .

وبعد فشل هذه الحملة ، اجتمع سبستيان مع فيليب الثاني (felebe II)[١٢] في مدينة غوادلوب ، وقد تمكن من الحصول على وعداً من الاخير تضمن أمداده بخمسة عشر الف جندي أسباني وخمسون سفينة مجهزة بالاعتدة والمؤن [١٣].

لقد ساد في الاوساط البرتغالية تياران الاول كان متحمساً لمشروع الملك فيليب الثاني ، والثاني كان معارضاً لهذا المشروع والذي يمثله عم الملك الكاردينال هنري ، الذي لم تكن لديه الثقة الكاملة بوعود المتوكل السعدي ، الذي لجأ للتعاون مع سبستيان من أجل اسقاط حكم عبد الملك السعدي . إذ أكد الكاردينال ان ما حصل بين المتوكل وعبد الملك ، ماهو الا خلاف ظاهري هدفه ايقاع سبستيان في فخ وبالتالي الاجهاز على الحملة البرتغالية.[١٤]

اقدم عبد الملك السعدي الذي كان على اطلاع كامل بالتحركات البرتغالية والاتفاقات مع المتوكل السعدي الى استخدام الطرق الدبلوماسية مع سبستيان اذ عرض على الاخير توسيع السيطرة البرتغالية حول المراكز البرتغالية التي احتلوها في المغرب الاقصى الا ان هذه السياسة لم تجدي نفعاً اذ تحركت الحملة حتى وصلت (أصيلا)[١٥].

وثمة أمر هنا ان الحملة البرتغالية التي قادها سبستيان اسهم فيها العديد من الاسبان والايطاليون والالمان ، اذ قدر عدد الالمان بحوالي الثلاثة الالف مقاتل . وقد حصلت هذه الحملة على مباركة البابا فضلاً عن تقديمه المساعدات المادية والعسكرية لها التي تضمنت الاسلحة الحديثة آنذاك [١٦].

نجد ان هذه الحملة فيها الكثير من المؤشرات التي تؤكد الصراع الصليبي ضد الاسلام من خلال مباركة البابا ومساهمته الفعالة في دعم هذه الحملة .

وبالرغم من هذه الاستعدادات والتفوق بالاسلحة الا انها لم تحقق اهدافها ذلك بسبب الاخطاء التي ارتكبها سبستيان والتي كمنت في عدم تجاوبه مع النصائح التي قدمها المتوكل السعدي له والتي كانت تقضي بضرورة احتلال مدينة (تطوان)[١٧] و(العرائش)[١٨] لغرض كسب رجالات هذه المدينتين الى جانب البرتغاليين ، كذلك ان بطء تقدم الجيش البرتغالي وعدم تمكن عربات جيشه بالسير في المناطق الوعرة كلها ادت دورها في هذه الاخفاقات للحملة البرتغالية[١٩].

وبعد ان فقد البرتغاليون قوة تسليحهم اضطروا الى الانسحاب نتيجة لضغط القوات المغربية وعند وصولهم الى احد انهار المغرب كانت المياه قد ارتفعت به مما ادى الى غرق العديد منهم بما فيهم المتوكل فضلاً عن مقتل القائد البرتغالي سبستيان ولهذا عرفت هذه المعركة تاريخياً بمعركة (الملوك الثلاثة)[٢٠].

كان لهذه المعركة نتائجها الواضحة في تاريخ المغرب الاقصى ، فبالنسبة الى المغرب الاقصى فأنها تركت رصيداً مادياً ومعنوياً للبلاد ، ظهرت نتائجه واضحة في عهد المنصور السعدي كما انها حطمت القوة البرتغالية وجعلت منها فريسة سهلة امام اسبانيا والتي نجحت في ضمها اليها عام ١٥٨٠ كذلك عززت هذه المعركة من مكانة المغرب الاقصى بين مصاف الدول الاوربية ، اذ صار ينظر اليها كدولة كبرى يحسب لها الحساب في التعاملات الدبلوماسية .

ثانياً : وصول أحمد المنصور السعدي[٢١] للحكم في المغرب الاقصى ١٥٧٨ .

تسلم المنصور السعدي الحكم بعد انتهاء معركة المخازن التي كان لصدى انتصار المغاربة فيها اثره الواضح في دعم مكانة هذا السلطان وعمله من أجل توظيف هذا الاثر في تثبيت حكمه داخل البلاد[٢٢].

واجه السلطان المنصور السعدي بعض الاضطرابات الداخلية التي صدرت من عدد من القبائل المغربية ، الا انه تمكن من السيطرة عليها ، فقد شهدت البلاد في عهده الهدوء والاستقرار ، وقد وضف الخبرة التي اكتسبها من خلال تنقله بين الجزائر واسطنبول في انتهاج اسلوبا ادارياً متميزاً في تنظيم شؤون البلاد الداخلية ، فقد وصفه المؤرخ القشتالي في مؤلفه (مناهل الصفافي مآثر موالينا الشرفا) قائلاً كان متطلعاً لأخبار النواحي بحاثاً عنها غير متراخ في قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولايبطئ بالواجب ويقول كل شيء يقبل التأخير الا مجاوبة العمال على رسائلهم وكان له عيون في جميع انحاء المغرب ، فله من رجاله المضطلعين على كل مقربة رصداء وعلى كل ثنية نقباء وفي كل خلوة وجلوة عيون حفظه ، موكلي بنقل ما يحدث من قصة او خبر او ما يدور على الالسنة من كلام او هذر[٢٣].

نستدل مما تقدم مدى اهتمام المنصور السعدي بمتابعة شؤون بلاده وقد جاء هذا الاهتمام نتيجة الخبرة الادارية التي اكتسبها من تجواله في اسطنبول والجزائر مضطلعاً بذلك على النظم الادارية التي كانت منتشرة في تلك البلاد [٢٤].

ومما ينقل عن المنصور السعدي تأكيده المستمر على سرية مخاطباته مع ولاته في مختلف انجاء دولته وهو ما يعرف في يومنا هذا (بالشفرة) ، فقد استخدم اشكالاً متعددة من انواع الخط الذي تكتب به بغية الحفاظ على سريتها وعدم الاطلاع عليها او من قبل الادارات التابعة له ، والذين كانوا يعرفون ارق رموز هذه المخاطبات .

وكان المنصور السعدي مهتماً كثيراً بتنظيم الامور الادارية في دولته متأثراً بذلك بالاساليب العثمانية التي عاصرها إبان تلك الحقبة التاريخية ، فضلاً عن تأكيده على اتباع التقاليد المغربية في ذلك التنظيم .

ويبدوا ان من الاسباب الرئيسة التي جعلت من المنصور السعدي ان يتأثر بالنظم العثمانية هو الحقبة التاريخية التي قضاها منفياً في مركز الحكومة العثمانية آنذاك ، مما هيأ له الأجواء المناسبة للاطلاع على هذه النظم ومن ثم التأثر بها وتطبيقها بعدما اعتلى الحكم في المغرب الاقصى .

ومما يؤكده لنا القشتالي بهذا الصدد قائلاً " كانت سيرة الخلفاء من اول الدولة الى ايام المتوكل (يقصد السلطان المتوكل السعدي) سيرة مطلقة لم تحفظها قوانين ولا قيدتها ضوابط بل كانت الامور مسترسلة جارية على مقتضيات الحال بما كانت الدولة عربية ساذجة غير مرتاضة للقوانين التي تملك زمامها وتمسك عن الاسترسال عنانها الى ان صار الملك والخلافة للمولى عبد الملك امير المؤمنين المعتصم رحمه الله فجنح بالدولة الى السيرة العجمية (يقصد اتباع بعض الاساليب للدولة الاوربية) وحمل الناس عليها حملاً عنيفاً منشق عليهم ذلك لتنافر الطباع . فتغير الاحوال لتغير العادة واضطرت الاقوال لإبداء الامور الغير المعتادة ثم جاء الله من مولانا المنصور ايده الله بالطبيب الماهر الحكيم المدير الباهر فأحال الصبغة والف الطباع ولم الشعث وجبر الصدع .. وجعل العرب والعجم رحم الخدمة الواصلة وقربى الصداقة الجامعة فاختص رؤساء العرب واكابر بالمنشورة والتدبير وقيادة عساكر الخيل ... " (٢٥).

يتبين لنا مدى قوة الإدارة والتنظيم التي شهدها المغرب الاقصى في عهد السلطان المنصور السعدي وذلك من خلال ما كان يمتلكه من حنكه القرار والاصرار للقضاء على الفوضى والاضطراب في دولته .

ثالثاً : سياسة المنصور السعدي الداخلية :

تميز (المخزن)(٢٦) السعدي في عهد السلطان المنصور بكثرة العثمانيين والعلوج الذين شغلوا العديد من المناصب الادارية في المؤسسات المدنية والجيش ، وهذا بدوره ادى الى ازدياد التأثير العثماني في هذه المؤسسات ، أما بقية الوظائف ، الاخرى ، فقد بقيت مغربية تحمل طابعها التقليدي الذي ساد في هذه البلاد والذي تمثل بمنصب (الوزير والحاجب والكتاب وقاضي القضاة ، كما أختص أكابر العرب تقديم المشورة وقيادة الجيش في اثناء الحروب)(٢٧).

١. الاهتمام بالجيش :

كان من اهتمامات المنصور السعدي الاخرى والتي اراد عن طريقها بناء دولته وحماية حدودها وتثبت مركزها بين مصاف الدول الاخرى هي المؤسسة العسكرية ، فقد تكونت هذه المؤسسة من قسمين رئيسين هما (الجيش النظامي) والذي كانت نواته الرئيسة هم الافراد العثمانيون والعلوج والاندلسيون ، وقد اعتمد على الاسلحة الحديثة المصنوعة في المغرب الاقصى وكذلك التي تم استيرادها من الدول الاوربية ، وقد برز مجموعة من القادة في الجيش المغربي ، الذين تركوا أثراً واضحاً في هذه المؤسسة ، كان في مقدمتهم (منصور باي) والذي رقاه المنصور السعدي من قيادة الانشكارية الى قيادة (السباهية) [٢٨] ، فضلاً عن ابو الثناء محمود باشا صاحب خزائن الدار وقائد جيش الموالي (العلوج) وهو الذي اكمل فتح السودان ، كما كان للقائد جؤذر باشا قائد جيش الاندلس وهي احدى تقسيمات المؤسسة العسكرية ، دوراً بارزاً في فتح بلاد السودان[٢٩].

لقد قدر احد امعاصرين الانكليز ، اعداد هذا الجيش في اواخر عهد المنصور السعدي بحوالي ٤٠ الف جندي ، فضلاً عن القبائل المغربية التي كان السلطان السعدي يجندها في اوقات الحروب ، وقد استخدم هذا الجيش في حماية الحكومات المركزية والقضاء على الفوضى والاضطراب التي كانت تتعرض لها المغرب الاقصى في ذلك الوقت ، كما انيطت مهمة جباية الضرائب الى افراد المؤسسة العسكرية [٣٠].

نستدل مما سبق ان بناء هذا الجيش كان الهدف منه تثبيت حكم السلطان واستخدامه كقوة ضاربة ضد معارض الحكم وجمع الاموال من ابناء الشعب عن طريق الضرائب التي كانت كثيراً ما ترهق كاهل الضعفاء .

شهد الاسطول البحري تطوراً ملحوظاً في عهد المنصور السعدي ، اذ اهتم ببناء السفن وتوفير المراسي له ، فضلاً عن اعتماده على الخبرة العثمانية في تشييد هذا الاسطوال وادامته ، اذ اوكل مهمة قيادته الى واحد من ابرز رجالات البحر ، وهو الريس ابراهيم الشط كما جعل من العرائش مركزاً لقيادة هذا الاسطول[٣١].

حرص السلطان السعدي كثيراً على عدم زج هذا الجيش في مخاطر الحروب الخارجية وبخاصة مع العثمانيين والاسبان ، فضلاً عن عدم رغبته بارساله الى مناطق الجبال للقضاء

على الاضطرابات التي تسيرها القبائل القاطنة في هذه المناطق ، ولهذا شيد له العديد من القلاع في مناطق تازا ومدينة فاس والعرائش لغرض مواجهة الاعتداء الخارجية [٣٢].

٢. الحركة العمرانية :

اراد المنصور السعدي ان يفضي على عهده طابعاً من الابهة والتميز من خلال اهتمامه بالجانب العمراني ، لذا شرع حال تسلمه مهام الحكم في البلاد ببناء (قصر البديع)[٣٣] الذي كلف الدولة اموالاً طائلة في حينها ويعزو القشتالي السبب في بناء هذا القصر الى قول المنصور " ما بعثني على ذلك الا اني اذا نظرت الى اثار سلفنا الكرام اجد اثار الموحدين ما زالت تنازعها فضل وضخامة واحتفال اربي عليها واثار بني مدين تجاذبها رداء التأنق وربما شقت في تنميق الحلة وبديع الطراز فأبيت لأهل بيت النبوة ان يكون الفضل والشفوف لاثار من دونهم من الدول على اثارهم فلم ارض الا بما يعضي على اثار الدولتين" [٣٤].

وكان يتابع الاعمال بنفسه ويجتمع مع اصحاب المهن وأهل البناء وانشأ لهم سوقاً عظيمة يقصدها التجار ببضائعهم وجلب المنصور الرخام من ايطاليا وكانت تيجان الاعمدة المرمرية تبدو على شكل قطع يحمل بعضها الطابع الكلاسيكي (الاغريقي) ، وكان بعضها على الطراز الاندلسي المغربي والتي صنعت خصيصاً بناء على طلب المنصور السعدي.

ومما ينقل عنه انه على ذو اهتمام كبير بابهة العرش وفخامته ، اذ كان يستقبل السفراء والوفود باحتفالات فخمة وفي انيته التي شيدها [٣٥]. ويبدو السبب في ذلك من اجل اعطاء الانطباع لعظمة ملكه وهيبته لدى دول وحكومات هؤلاء السفراء لغرض تثبيت مكانة المغرب الاقصى بين مصاف الدول انذاك .

رابعاً : السياسة الخارجية للسلطان المنصور السعدي :

١. فتح السودان :

توطدت العلاقة بين سلاطين النيجر الاعلى والمغرب منذ انتشار الاسلام في هذه البلاد ، وقد عززت هذه العلاقات في اواخر القرن الخامس عشر بعد قيام مملكة (ال سكيا) [٣٦] والتي اصبحت لها علاقات تجارية واسعة مع بلاد المغرب الاقصى وبخاصة ان السودان اشتهر بوفرة الذهب ، الذي كان الافارقة يبادلونه بالملح مع المغرب ، ونتيجة لطموحات

المنصور لاسعدي ورغبته الشديدة ببناء دولة قوية وحاجته الماسة للاموال قرر السيطرة على بلاد السودان .

بدأت حملات المنصور تجاه هذا البلد منذ عام ١٥٨١ ، اذ اخذ يبسط سيطرته على واحات الجنوب مستقلاً بذلك الطلب الذي وصله من سلطان بورنو لمساعدته في القضاء على الوثنيين ، وهكذا استجاب المنصور السعدي وارسل قواته الى ساحل السودان واخضع حكام هذه المناطق ، ومن هذه المناطق اخذ المنصور يرسل للاطلاع على احوال مملكة اسكيا ، حيث تعرف من خلال على تدهور احوال هذه المملكة وخاصة في عهد اسحق اسكيا ، لهذا وجه المنصور السعدي طلباً الى مملكة اسكيا يتضمن دفع مثقال من الذهب على كل جمل من الملح ينقل الى السودان لغرض الاستعانة بهذه الاموال القتال الدول الاوربية الطامعة باراضي المسلمين (٣٧).

وبعد وصول طلب المنصور السعدي الى اسحق سكيا ، رفض الأخير الاستجابة للسلطان السعدي، مؤكداً ان سلطته مثل سلطة المنصور فكلاهما اميراً على ناحية ، وانه لا يحب اي سلطة عليه ، نتيجة لذلك قرر السلطان المغربي اخضاع البلاد بالقوة وعرض على مستشارية ، مبيناً لهم الفوائد التي يمكن تحقيقها من السيطرة على بلاد السودان (٣٨).

وتجدر الاشارة هنا ان المنصور السعدي فوجئ برفض قاطع من قبل مستشاريه ، ويبدو ان السبب في ذلك بعد المسافة الى هذه البلاد وصعوبة الوصول إليها ، اذ الصحراء الشاسعة التي لا ماء فيها مؤكدين " وما ذلك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مدارتها، وحسبنا ان نقتفي اثر تلك الدول فان المتأخر لا يكون اعقل من الاول "(٣٩).

أما المنصور السعدي فقد تمسك برأيه قائلاً " أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لجدوتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعف وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت ويخوضون في احشائها مشاة وركباناً وجماعة ووحداناً ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها وانا اقوى اهبة منهم وللجيش همة ليست للقوافل واما قولكم من كل من قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح ابصارهم لذلك فأعلموا ان المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الاندلس ومقابلة الفرنج ومن بذلك من ساحا الاورام والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك وازدادوا في حرب ابن غانية والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان.. ونحن اليوم قد

انسد عنا باب الاندلس باستيلاء العدو الكافر عليها جملة وانقطعت عنا حروب تلمسان باستيلاء الاتراك عليها ، ثم ان اهل تلك الدول لو ارادوا ما اردنا لعصب عليهم لان جيوشهم كانت فرساناً رامحة ورماة ناشبة ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة الصواعق.. وأهل السودان ليس عندهم الا الرماح والسيوف وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة فمقاتلهم سلهة" (٤٠).

وهكذا تمكن السلطان المنصور السعدي من اقناع مستشاريه بتهيئة حملة عسكرية لاخضاع السودان تحت سيطرته ، اذ اسند قيادة الجيش الى القائد (جؤذر)(٤١)، وبعد اجتياز هذه الحملة الصحراء بنجاح تمكن الاخير من دخول السودان في عام ١٥٩١ ، كان من نتائج هذه الحملة حصول السلطان السعدي على كميات كبيرة من الذهب ، ويذكر المؤرخ اليفرني بهذا الصدد " ما يعي الحاسبين ويحير الناظرين حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب الا النضار الصافي والدينار الوافي وكان ببابه كل يوم اربع عشر مئة مطرقة لضرب الدينار الوافي دون ماهو معد لغير ذلك من صوغ الاقراط والحلي وشبه ذلك ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب في ايامه "(٤٢).

من خلال ما تقدم نجد ان فتح السودان من قبل السلطان السعدي كانت له نتائجه المهمة على بلاد المغرب الاقصى (٤٣)، من حيث زيادة الثروات وبخاصة كميات الذهب التي نقلت اليه ، فضلاً عن استخدام العديد من ابناء السودان في زيادة اعداد الجيش الذي اسسه السلطان السعدي فيما بعد .

٢. سياسة المنصور تجاه الدولة العثمانية :

لم يخضع المغرب الاقصى للسيطرة العثمانية ولعل السبب في ذلك توقف العثمانيين عن التوسع في المغرب العربي لظروف دولتهم الداخلية التي تميزت بالاضطراب ، كما ان تدهور احوال نيابة الجزائر التي كانت تحت سيطرتهم سبباً آخر في هذا التوقف (٤٤).

وبالرغم من توقف التوسع العثماني تجاه المغرب الاقصى ، الا ان العثمانيين كانت لديهم الرغبة الكبيرة بالتدخل في شؤون الدولة السعدية والعمل على اضعاف المنصور السعدي ، ففي عام ١٥٧٩ ارسل السلطان العثماني وفداً الى المنصور السعدي طالبه بضرورة تعيين (اسماعيل بن عبد الملك)(٤٥) حاكماً على مدينة فاس (٤٦)، ويبدو من الطلب العثماني هذا

انهم ارادوا ايجاد شخصية موالية لهم في بلاد المغرب الاقصى وبالتالي اضعاف الحكومة المركزية التي يمثلها السلطان المنصور السهدي .

لم يستجب المنصور لهذا الطلب العثماني بعد ان رفض استقبال السفير العثماني ، استغلت اسبانيا هذا التوتر في العلاقات . لذا طلبت من السلطان العثماني الموافقة على ارسال حملة عسكرية ضد المغرب الاقصى ، وعندما علم المنصور السعدي بذلك سارع الى افشال هذا المخطط ، إذ ارسل هدية الى السلطان العثماني حملها اليه وفداً رسمياً ، وبهذا تطبعت العلاقات بين الجانبين [٤٧].

وبالرغم من حالة الهدوء هذه الا ان الأمر لم يستمر طويلاً ، والسبب في ذلك ان السلطان العثماني " كان دائماً ينظر الى المنصور السعدي نظره تعالي باعتباره (خليفة المسلمين) وما السلطان المغربي ، لا حاكماً او أميراً تابعاً له فضلاً عن تأكيدات السلطان المغربي على الاستقلال عن الدولة العثمانية وكذلك مطالبة العثمانيين للمنصور السعدي بتعيين اسماعيل بن عبد الملك حاكماً على مدينة فاس ، هذه الامور حالت دون توصل الطرفين الى حالة توافق مستمر في العلاقات[٤٨].

كان للبريطانيين دوراً مهما في تطبيع العلاقات بين الجانبين العثماني والمغربي وتأكيدهم المستمر على ضرورة التواصل وكان لهذه السياسة اثرها الواضح بين الجانبين ، ففي عام ١٥٨٠ تلقى المنصور السعدي رسالتين من السلطان العثماني (مراد الثالث)[٤٩] تضمنت مطالبة المنصور السعدي بالتحالف ضد الاسبان ، على ان يجهز الأخير ثلاثمائة سفيه حربية لهذا الهدف، كما عرض على المنصور السعدي الزواج من ابنته ، ويبدو ان السلطان العثماني اراد من المصاهرة ان يجعل بلاد المغرب الاقصى لقمة سائغة بيد الدولة العثمانية ، وان يستثمر هذه البلاد لتحقيق مأربة الخاصة[٥٠].

ثمة أمر هنا ان البريطانيون كانوا يدعمون هذا التوجه العثماني تجاه المغرب الاقصى ، وذلك لاجل اضعاف العلاقات المغربية الاسبانية وهذه السياسة هي جزء من التنافس الدولي بين الدول الاوربية لغرض تحقيق الاهداف وايجاد الحلفاء الذين يحققون مصالحهم في هذه المناطق .

وفي السنوات الأخيرة من حكم السلطان المنصور السعدي تحسنت العلاقات مع الدولة العثمانية او يبدو السبب في ذلك انشغال الدولة العثمانية في حروبها مع النمسا ، فضلاً عن تدهور اوضاعها الداخلية في الجزائر ، وهذا ما دفع سلاطينها الى اتباع سياسة المهادنة مع المنصور السعدي في المغرب الاقصى(٥١).

٣. العلاقات المغربية – الاسبانية :

توثقت العلاقة المغربية – الاسبانية ، اذ سعى كلاً من الطرفين على استمرار التحالف بينهما ، وقد قويت هذه العلاقات مع بداية حكم المنصور السعدي ، الا ان الفتور ساد هذه العلاقات بعد ان توقفت علاقات المنصور السعدي مع الدولة العثمانية كما ان ضم اسبانيا الى البرتغال عام ١٥٨٠ ساهم في توتر هذه العلاقات ، اذ ان الاسبان سيطروا على جميع امتيازات البرتغال في المغرب الاقصى ، فضلاً عن رغبة اسبانيا السيطرة على ميناء العرائش المغربي.(٥٢)

ولابد من اشارة هنا ان قضية ميناء العرائش تعد من القضايا الشائكة اذ لم يقتصر الاهتمام بها على اسبانيا فقط بل كان لبريطانيا اهدافها الخاصة التي تروم تحقيقها بعد وضع يدها على هذا الميناء والتي تمكنت في تهديد الاساطيل الاسبانية وتحجيم تجارتها في المغرب الاقصى وفي مقابل ذلك كانت لاسبانيا اهدافها من السيطرة على ميناء العرائش فقد كانت هي الاخرى تريد ضرب مصالح بريطانيا في الغرب الاقصى فضلاً عن توفر ملجأ ومرسى لنفسها في المنطقة فقد كانت تصرح وباستمرار " ان العرائش تساوي وحدها بالنسبة لها كل افريقيا"(٥٣).

وهكذا في عام ١٥٨١ احرزت اسبانيا تقدماً كبيراً في حصولها على العرائش، اذ وضع المفاوضون الاسبان والمغاربة اتفاقية تضمنت تسليم العرائش لاسبانيا الا ان المنصور السعدي لم يصادق على هذه الاتفاقية ولجأ الى المماطلة مع اسبانيا(٥٤).

ويبدو ان رفض المنصور السعدي للمصادقة على هذه الاتفاقية جاء بدعم من لدن بريطانيا التي كانت تعيش في حالة تنافس مع اسبانيا وفي عام ١٥٨٢ قرر الملك الاسباني (فيليب الثاني) حسم موضوع العرائش مع المغرب الاقصى ، إذ طلب من مبعوثه المكوث في مدينة اصيلا لحين موافقة المنصور على المصادقة على الاتفاقية (٥٥).

قرر المنصور السعدي في هذه الحقبة التاريخية الميل في سياسته الى التعامل مع بريطانيا فضلاً عن عدم انهاء جسور التفاهم مع اسبانيا ، اذ انه اراد الاستفادة من حالة الخلاف الاسباني – البرطاني وبالتالي الحفاظ على مصالح المغرب الاقصى . لقد اظهر المنصور حنكة سياسية كبيرة ، اذ لوح للبريطانيين برغبته بمساعدة الدوق (انطونيو) من اجل استعادة عرشه في البرتغال وقد اكتفى بتهديد مدينة (سبته)[٥٦] وفي اثناء ذلك تمكن من إغاء السيطرة الاسبانية على ميناء اصيلا المغربي ، كثمن لحياد المغرب وعدم تهديد اسبانيا سبب بضمها للبرتغال . وفي عام ١٥٩٥ حصل تحول بكير في هذا الموقف ، اذ ادت الثورة التي دعمها الاسبان ومشروع فيليب الثاني حول احتلال جزيرة ارجوين والشاطئ الصحراوي المواجه لها لتحويل ذهب السودان إليها ، هذا التحول ادى الى تعكر جو العلاقات الاسبانية المغربية وبالتالي ميل المنصور السعدي نحو بريطانيا ، وقد اكدت الرئايل التي وجهها المنصور السعدي الى علماء مصر شدة العداء الذي كان يضمره للاسبان ، فقد جاء في احدها " اعلمكم ان عدو الدين طاغية قشتالة فيليب الثاني الذي هو اليوم العدو الكبير للاسلام وعميد ملل التثليث وعبدة الاصنام . لما أنيس تلقاء جنابنا نار العزم تلتهب منا التهاباً وبحر الاحتفال تضطرب امواجه الزاخرة بكل عدد وعدة واضطراباً وهممنا قد همت لتجديد الاسطول والاستكثار من المراكب المتكلفة للجهاد انشاء الله بقضاء كل دين محطول . وعلم ان الحديث اليه يساق ، والى ارضه بالخسف والتدمير بحول الله يحفو كل لواء خفاق ، رام خذله الله مكافأتنا على ذلك بما امل ان يفت به في عضدنا الاقوى وعزمنا الذي بعناية الله يزداد ويقوى فرمى بمخذول عن ابناء اخينا عبد الله" [٥٧].

ومن خلال هذه الرسالة يتبين لنا مدى التوتر والعداء الذي حصل بين الدولتين في هذه الحقبة التاريخية لبلاد المغرب الاقصى والتي تدخلت فيها سياسات خارجية تمثلت بالدعم البريطاني والعثماني لغرض ضرب المصالح الاسبانية في هذه البلاد فضلاً عن رغبة المنصور السعدي باستغلال هذه الاوضاع للحفاظ على وحدة البلاد وإنهاء الامتيازات الاجنبية فيها.

وفي عام ١٥٩٦ ، حصلت حالة من التقارب البريطاني الفرنسي مع المغرب الاقصى للقيام بمشاريع مشتركة ضد اسبانيا بغية اضعافها ، الا ان التطورات الدولية وانشغال حكومات هذه البلدان ببعض الظروف الداخلية لبلدانها حال دون تحقيق ذلك.(٥٨)

٤. العلاقات المغربية – البريطانية :

تزامن تسلم المنصور السعدي الحكم في المغرب الاقصى مع الحقبة التاريخية التي تزأست فيها الملكة اليزابيت Alezabeth (٥٩) الحكم في بريطانيا ، ويمثل هذا العهد بداية النشاط التجاري لبريطانيا ورعيتها بالسيطرة الاستعمارية على العالم الخارجي. (٦٠) .

كان الطابع التجاري هو البداية الاولى للعلاقات المغربية – البريطانية ، بعد ان قام التاجر البريطاني توماس وندهام (Tomas Wendham) بين الاعوام ١٥٥١ – ١٥٥٣ برحلتين تجاريتين ، إذ اتصل بالسعديين الذين كانوا على وشك القضاء على منافسيهم في هذه البلاد ، وقد مهد توماس لهذه العلاقات بجلبه الاسلحة الحديثة التي انبهر بها السعديين.(٦١)

وفي عام ١٥٧٧ ارسلت الملكة اليزابيث خطاباً الى الحاكم المغربي حمله اليه هوجان (Hojan) وهو أحد الشخصيات المقربة من البلاط الانكليزي آنذاك ، وقد تضمن هذا الخطاب مطالبة الملكة الحاكم المغربي بإزالة كل القيود التي تحد من تصدير السكر الى المغرب العربي مع التأكيد على عدم رغبة بريطانيا بتزويد المغرب الاقصى بالاسلحة ، وذلك بسبب التزاماتها بعدم تقديم السلام إلا للدول الاوربية الا انها اكدت على استعدادها بتزويد المغرب الاقصى بجميع السلع الاخرى(٦٢) .

وقد وصف هوجان شيء عن رحلته بعد لقائه بالملك السعدي عبد الملك قائلاً " أخذني من يدي وعبر بي قاعة طويلة الى مكان به نافورة جميلة حيث جلس على مقعد خاص به وطلب مني الجلوس على مقعد آخر بجواره واستدعى عدداً من الموسيقيين ... واني اراه انساناً يعيش في مخافة الله وعلى دراية بالكتاب المقدس سواء العهد القديم او الجديد ويحمل اشد مشاعر المودة لامتنا بأكثر مما يحمل لغيرها من الامم بسبب ديننا الذي يحرم عبادة الاوثان ويدعوه المغاربة بالملك المسيحي" (٦٣).

يتبين لنا من قراءة النص اعلاه ان العلاقات المغربية الانكليزية في هذه الحقبة قد شهدت تطوراً ملحوظاً ورغبة كبيرة في توثيق عرى التعاون بين البلدين . وبعدما تسلم المنصور السعدي الحكم في البلاد استمرت هذه العلاقات على ما كانت عليه في السابق ففي عام ١٥٧٩ ارسل المنصور السعدي جواباً خطياً الى الملكة اليزابيث رداً على الرسالة التي وصلت اليه من عندها اكد فيها بأن " تجارها سوف يلقون المعاملة الحسنة كما وعدها بالاستجابة الى مطالبها الخاصة بدفع اليهود الذين يديرون مزارع قصب السكر الديون المترتبة عليهم الى التجار الانكليز "[٦٤].

ويبدو السبب في غربة المنصور بتقوية اواصر علاقته مع انكلترا ، هو الحصول على الاخشاب المتوفرة في اوربا لاستخدامها في بناء اسطوله البحري .

ن ثمرة تحسن هذه العلاقات اقدام الملكة اليزابيث في عام ١٨٥٨ على تأسيس شركة (بلاد البربر) والتي احتكرت التجارة في بلاد المغرب لاكثر من اثناعشر عاماً ، كما كان لهذه الشركة هدفاً آخر هو السيطرة على نشاط من اسموهم (بالمتطفلين) الذين قاموا بالتجارة بالسلاح والذخيرة والاقمشة وبالتالي نافسوا السوق واضروا بالتجارة الانكليزية[٦٥].

وقد انعكس تحسن العلاقات بين الدولتين في المرسوم الذي اصدره السلطان المنصور السعدي في عام ١٥٨٨ والذي قدم فيه الحماية الخاصة للتجار الانكليز[٦٦] لقد كان للعداء الذي حملة الطرفان المغربي – الانكليزي الى اسبانيا سبباً آخر في تحسن تلك العلاقات ، اذ ان كلاهما تخوفا من السياسة التي انتهجاها الملك الاسباني فيليب الثاني والتي كمنت في تفضيله المذهب الكاثوليكي . وهذا ما يخالف المذهب البروتستانتي الذي اعتنقته الملكة اليزابيث[٦٧].

وهكذا اثمرت العلاقات بين الطرفين بشكل ودي وانسجام تام حتى وفاة الملكة اليزابيث في عام ١٦٠٣ والذي لحقها في العام نفسه السلطان المنصور السعدي .

٥. العلاقات المغربية – الفرنسية :

يعود تاريخ هذه العلاقات الى بدايات القرن السادس عشر الميلادي ، فقد اصبح لفرنسا العديد من الالتزامات التجارية مع بلاد المغرب الاقصى ، ففي عام ١٥٣٣ تطورت هذه

العلاقات تطوراً واضحاً وما ان حل عام ١٥٧٧ حتى استطاعت فرنسا من أنشاء ثلاث قنصليات لها في المغرب الاقصى(٦٨).

ولابد من الاشارة هنا ، ان طبيعة العلاقات المغربية – الفرنسية ، كانت محددة قياساً الى الدول الاوربية الاخرى . ويبدو السبب في ذلك انشغال هذه الدولة بالحروب الدينية والداخلية منها اثراً سلباً على انفتاح الفرنسيين بعلاقاتهم مع بلاد المغرب الاقصى .

وبالرغم من ذلك إلا ان فرنسا كانت على اطلاع كامل بأوضاع المغرب الاقصى ، إذ عمدت الى ارسال القناصل والذين يأتي في مقدمتهم غليوم بيرار (CHolewmperar) الذي كان مقرباً من قبل السلطان عبد الملك السعدي واخيه المنصور ، وقد تعرف هذا القنصل عليهما في استنبول وتوثقت علاقته بهما ، اذ كان يعمل طبيباً وقد اعتنى بالسلطان عبد الملك حينما تعرض للمرض في استنبول ، وبعدما تولى المنصور السعدي الحكم في البلاد، ارسل بيرار مبعوثاً لحكومة فرنسا لتقديم التهنئة إليه مؤكداً على رغبة حكومته باستمرار العلاقات مع بلاد المغرب الاقصى (٦٩) .

كان من المطالب التي قدمها بيرار الى السلطان المنصور السعدي رغبة حكومة فرنسا بالحصول على التسهلات الكافية للسفن الفرنسية في الموانئ المغربية وكذلك تحرير الاسرى الفرنسيين ، فضلاً عن ذلك فقد كان هنالك تبادلاً تجاريا مهماً بين البلدين تمثل بمواد النحاس والبارود وكذلك القروض المالية (٧٠).

اهتمت فرنسا كثيراً بالاطلاع على مجمل المفاوضات التي حصلت بين المغرب الاقصى واسبانيا وبريطانيا ، إلا ان تمزق وضعها الداخلي حال دون استمرارها بمتابعة الشؤون الخارجية لبلاد المغرب الاقصى . من خلال ما تقدم ان واقع العلاقات المغربية – الفرنسية ، قد اتسم بطابعاً تجاري ويبدو السبب في ذلك تدهور الاوضاع الداخلية لفرنسا وعدم قدرتها على الانفتاح الخارجي في تلك الحقبة من تاريخها .

خامساً : وفاة المنصور السعدي :

وصلت بلاد المغرب الاقصى في عهد المنصور السعدي اوج قوتها وازدهارها اذ امتد حكم هذه البلاد الى السودان ، كما جنت البلاد ثروات طائلة بعد سيطرتها على مناجم الذهب واحتكارها للتجارة الصحراوية وبخاصة على الطرق الرئيسة (مراكش – حسية البيضاء

– تمبكتو) وكانت هذه التجارة تنتهي في موانئ الاطلس المغربية والعرائش واسفي واغادير ، فقد كان التجار الانكليز والهولنديون والفرنسيون ينقلون منها الذهب والنحاس والجلود والسكر [٧١].

وما ان حل عام ١٦٠٣ حتى تدهورت اوضاع البلاد وقلت وارادته بسبب وفاة السلطان المنصور السعدي ولم يقتصر تأثير وفاته على الجانب الاقتصادي فسحب ، بل تعدى ذلك الى تدهور الاوضاع السياسية والداخلية للبلاد بسبب التنافس الذي حصل بين ابنائه من اجل الحكم، فضلاً عن بروز الحركات الانفصالية التي عملت على تمزيق وحدته وسلب خيراته [٧٢].

الخاتمة :

١. تمثلت الحقبة التاريخية التي سبقت تولي السلطان المنصور السعدي بالتدهور والاضطراب فضلاً عن انتهاج من سبقه في الحكم اسلوباً تقليدياً في حل المشاكل الداخلية والتفاهم الخارجي مع الدول الاوربية .
٢. كان لمعركة وادي المخازن اثرها الكبير على اوضاع المغرب الاقصى اذ انها اظهرت البلاد بمظهر المنتصر الذي تمكن من صد المشاريع الاستعمارية .
٣. تربع على عرش الحكم في المغرب الاقصى المنصور السعدي والذي حاول الاستفادة من التجارب السابقة لاسلافه من اجل تقوية حكم البلاد .
٤. تمكن المنصور السعدي وبفضل حنكته الادارية والسياسية من بناء دولة قوية كانت له فيها مركزية كبيرة .
٥. استطاع من بناء علاقات خارجية مع الدول الاوربية اراد من خلالها اظهار المغرب الاقصى بمظهر الدول الكبرى .
٦. كان لفتح السودان وسيطرته عليه اثاره الايجابية فقد اعطى للبلاد دعماً مادياً للخزينة المالية وبخاصة تجارة الذهب .
٧. اصحبت المغرب الاقصى في عهده دولة تجارية مهمة بعد سيطرة البلاد على طرق التجارة .

٨. تدهور اوضاع البلاد بعد وفاته عام ١٦٠٣ نتيجة لتنافس الامراء من البيت الحاكم وبروز الحركات الانفصالية .

الهوامش:

(١) عبد الملك بن محمد الشيخ : هو أحد سلاطين الدولة السعدية تولى الحكم بين عامي (١٥٧٦ – ١٥٧٨) استقر مدة من الزمن في البلاط العثماني تعلم خلالها اللغة التركية والاسبانية والايطالية ، فضلاً عن تأثره بخط الادارة العثمانية وفلسفتها في ادارة شؤون الشعوب الخاضعة لها . للمزيد ينظر : شارل اندريه جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس – الجزائر – المغرب الاقصى) من الفتح الاسلامي الى سنة ١٨٣٠ ، ج٢ ، ترجمة محمد مزالي – البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦٩–٢٧٠ .

(٢) محمد خير فارس ، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر منشورات جامعة دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٤) محمد المتوكل : هو محمد بن السلطان عبد الله الغالب تولى الحكم بين عامي (١٥٧٤ – ١٥٧٦) شهد عصره خلافاً حاداً مع عمه عبد الملك الذي التجأ الى الجزائر وقد صادف وجوده هناك انتصار العثمانيين على الاسبان لهذا استنجد بهم على طرد ابن اخيه عن الحكم وقد تحقق له ذلك فقد تمكن العثمانيين من ازالة المتوكل عن الحكم للمزيد ينظر : ممد بن عبد السلام بن عبود ، تاريخ المغرب ، ج٢ ، دار الطباعة المغربية ،تطوان ، ١٩٥٧، ص ١٩ .

(٥) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٦) ابراهيم شحاتة حسن ، اطوار العلاقات المغربية – العثمانية ١٥١٠ – ١٩٤٧ ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ .

(7) Charles andre– julien lemaroc facequximperia lismes 1415–1956 paris, 1978 , p3–7.

(٨)محمد بن عبد السلام بن عبود ، المصدر السابق ، ص ١٩ – ٢٠ .

(٩) شارل اندري جوليان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .

(١٠) الحروب الصليبية المقدسة : تعود فكرة الحروب الصليبية المقدسة ذات الطابع الديني لكرسي البابوية التي اضفت على الصراع مع المسلمين طابعاً صليبياً متعصباً وخلال هذا الصراع الطويل برز العديد من البابوات الذين كان لهم الدور الكبير في تاجيج المشاعر العدائية ضد المسلمين تمثلت باصدار المناشر البابوية التي اعطت للملوك الصلاحيات بقيادة الحملات العسكرية ودعمها ماديا للمزيد ينظر : http://Rowad–islamstory.com

(١١) مدينة طنجة : من الموانئ المغربية المهمة في بلاد المغرب الاقصى خضعت بادئ الامر تحت السيطرة البرتغالية ومن ثم تنازلوا عنها لبريطانيا عام ١٦٦٢ وقد قدمت كمهر من قبل كاترين روير اكاتس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثاني ملك انكلترا للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن زيدون اتحاف اعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ،ج٧ ، مطبعة فضالة المحمدية ، فاس، ١٩٣١ ، ص ٧٣– ٧٥ ؛ عبد الرحيم الورديفي اسرا العدوان المغربي على الجزائر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، المغرب ، د.ت ، ص ٦٧ .

(١٢) فيليب الثاني : احد ملوك اسبانيا البرزين حكم البلاد للفترة التاريخية١٥٥٦ – ١٥٩٨ ،عمل على تعزيز المكانة السياسية والعسكرية لاسبانيا ايد الكاثوليكية بقوة مما ادى الى نشوب الثورات والى تورط الاسبان في حروب مع الدولة

العثمانية بلغت محاكم التفتيش في عهده ذروتها كما نقل الحكم من مدينة طليطلة الى مدريد عام ١٥٦١ للمزيد ينظر : http://wikipedia.org.com

(13) Coissac dechavre biere historie dumoroc paris , 1931 , p310 .

(14) Bid, p311.

(١٥) مدينة اصيلا : من الثغور المغربية المهمة والتي تقع بين مدينة طنجة والعرائش خضعت للسيطرة الاسبانية في عام ١٥٨١ للمزيد ينظر : محمود شيت خطاب ، قادة فتح المغرب العربي ،ج١ ، الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٢٠٧ .

(16) Ch. A– julien lemoroc face Auximperialisme , paris , 1978, p3–6

(١٧) تطوان : من المدن المغربية المهمة تقع في اقصى شمال المغرب وعلى بعد ١٠ كيلومتر عن ساحل البحر المتوسط ، كما تبعد عن مدينة طنجة بحوالي ٦٠ كم ولهذه المدينة بعد تاريخي يعود الى العصر الروماني وهي موضوع قديم لمدينة تمود الرومانية وقد جددها السلطان ابا ثابت عامر بن عبد الله بن يعقوب المديني (١٣٠٦–١٣٠٨) لجعلها مركزاً حربياً خضعت هذه المدينة لسيطرة الاسبان عام ١٤٠٠ وقد عمرها السلطان اسماعيل بن الشريف وكثرت فيها المساجد والاماكن الاثرية للمزيد ينظر : حسان عوض ، جغرافية المدن المغربية (على ضوء تطورها الديموغرافي الحالي) مطبوعات المركز الجامعي العلمي ، الرباط ، د.ت ، ص ٢١٧ .

(١٨) العرائش : مدينة مغربية خضعت للسيطرة الاسبانية عام ١٦١٠ اثر تنازل السلطان المأمون السعدي عنها مقابل الحصول على مساعدتهم للقضاء على منافسيه في الحكم ينظر : محمد المكي الناصري (من صفات العرش العلوي) ، مجلة دعوة الحق المغربية ، العدد الثالث ، شباط ، ١٩٧٠ ، ص ١٤– ١٥ .

(١٩) محمد خير فارس ، المصدر لاسابق ، ص ٦٤ .

(٢٠) شوقي الجمل ، المغرب العربي الكبير من الفتح العربي الى الوقت الحاضر (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب الاقصى مركش) المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧٧ .

(٢١) المنصور السعدي : احمد بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله ، ولد في مدينة فاس عام ١٥٤٩ وبويع له بالحكم عام ١٥٧٨ بعد وفاة السلطان عبد الملك ، يعد عهده الذي استمر قرابة ستة وعشرون عاماً من ازهى عهود الدولة السعدية من حيث تطور الجوانب العلمي والعمرانية ، كما طور السلطان اساليب الزراعة والنصاعة في البلاد ، اذ اهتم بزراعة قصب السكر وتحديث اساليب تصنيعه كذلك اهتم بالتجارة وبخاصة بعد فتحه للسودان توسعت علاقات المغرب في عهده وبخاصة مع الدول الاوربية ، توفي عام ١٦٠٣ . للمزي ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٨٠ – وما بعدها .

(٢٢) ابو العباس ، أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج١ ، تحقيق جعفر الناصري ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٤ ، محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، د.ت، ص ١٩٨ .

(٢٣) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٢٥) نقلاً عن : محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٢٦) المخزن : ويقصد به الحكومة المغربية ، وهو استخدام شاع في بلاد المغرب العربي ابان تلك الحقبة التاريخية .

(٢٧) ابراهيم حركات ، المغرب العربي عبر التاريخ ، ج٢ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، د.ت ، ص ٥٠–٥٣ .

(٢٨) السباهية : وهو لقب يختص به قائد هذه المجاميع الحربية ويعد تشريفاً له . للمزيد ينظر : ح. و. و. ع ، ملف المغرب العربي (الجيش المغربي هل هو قوة وطنية او اداة في يد النظام، رقم الملف ١١ / ٧ ، ص ١–٦ .

(٢٩) ثريا براد ، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، المغرب ، ١٩٧٧، ص ٥٦–٥٧ .

(٣٠) ثريا براد ، المصدر السابق ، ص ٥٦– ٥٨ .

(٣١) ابي عبد الله بن احمد الكنسوسي ، الجيش الروم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي ، تحقيق احمد بن يوسف الكنسوسي ، مراكش ،د.ت ، ص ٨١–٨٢ .

(٣٢) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣٣) قصر البديع : يعد هذا القصر من روائع المغرب الاقصى بناء المنصور السعدي بعد توليه الحكم بشهور قلة ، حيث اختار الزاوية الشمالية الشرقية مكاناً له استمر العمل به لمدة ستة عشر عاماً دون انقطاع للمزيد انظر : www.arwikipedia.org.ocm

(٣٤) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٣٥) ابو العباس احمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، ج٥ ، تحقيق جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب ، القاهرة ، ص ١٣٥ .

(٣٦) مملكة آل سكيا : تنتمي هذه المملكة الى صنهاجة وكان اول ملك لهذه الدولة هو الحاج محمد سكيا ، وقد مر الى مصر في طريقه الى الحج وهناكل التقى الخليفة العباسي ففوض اليه حكم السودان ، وعندما رجع الى بلاده سار على نهج الدولة العباسية في ادارة شؤونها للمزيد ينظر : محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(37) E–levi – proven call , Hisorens Arabes du maroc paris , 1948 , p91–93

(38) E– levi– provencal, ibid , p92 .

(39) Ibid,p92.

(٤٠) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص٧٧ .

(٤١) جؤذر : وهو قائد الحملة العسكرية التي اعدها السلطان المنصور السعدي للسيطرة على السودان وقد تمكن هذا القائد من السيطرة على هذه البلاد في عام ١٥٩١ بعد دخوله العاصمة كاغو ، الا ان انتشار الامراض بين جنوده ادى بالقائد الانتقال الى مدية تمبسكتو التي اصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة الباشوات المغاربة ، للمزيد ينظر deRense–arab.com

(٤٢) شارل اندري جوليان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٦–٢٧٧ .

(٤٣) عبد القادر زيادية وآخرون ، تاريخ المغرب الحديث ، مطبعة العهد الوطني ، الجزائر ، د.ت ، ص ١٥٢ .

(٤٤) الجدير بالذكر هنا ان الباشا الجزائري حسن البندقي كان قد تزوج من ارملة السلطان السعدي عبد الملك ، لذا اراد استخدام ولدها اسماعيل ورقة ضغط على المنصور السعدي من اجل تحقيق اهدف الدولة العثمانية للمزيد ينظر : ابراهيم شحاته حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

(٤٥) عبد الله العروي ، تاريخ المغرب (محاولة في تركيب) ،ت ذوقان فرقوط ، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٤٦) محمد عبد السلام بن عبود ، تاريخ المغرب ، ج٣ ، دار الطباعة المغربية ، تطوان ، ١٩٥٧ ، ص ٢٣-٣١ .

(٤٧) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٤٨) السلطان مراد الثالث هو السلطان مراد بن السلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الاول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح ولد عام ١٥٤٦ وتولى الحكم في عام ١٥٧٤ قاد العديد من الحملات ضد اوربا واصبحت اليونان في عهده تابعة للدولة العثمانية كما شهد عهده نهوض الحركة التجارية بسبب زيادة الامتيازات التي حصل عليها من الدول الاوربية توفي في عام ١٥٩٥ عن عمر ناهز الخمسين ودفن في صوفيا للمزيد ينظر : mwww.wikipedia.com

(٤٩) محمد علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى – ليبية) منشورات جامعة دمشق ، ٢٠٠٠، ص ٦٢ .

(٥٠) ابراهيم شحاتة حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٥١) شارك اندريه جوليان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(٥٢) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

(٥٣) ح.و.و.ع ، ملف المغرب ، مكتب الثقافة والاعلام (تقرير خاص عن العرائش ومدينتي سبتة ومليلة) رقم الملف ١١/ ٧/ ١٩٨٧ ، ص ٤١- ٤٥ .

(٥٤) فارس ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٥٥)

(٥٦) مدينة سبتة : مدينة مغربية قديمة عرفت باسم سبته وفي عصر الاسلام اطلق عليها اسم سبته تقع اقصى الشمال الغرب قبالة المواطئ الاسبانية للسيطرة البرتغالية ومن ثم الاسبان حتى وقتنا الحاضر .للمزيد ينظر عبد الحميد السامرائي ، المؤسسات الادارية في المغرب الاسلامي اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩١١ ، ص ٢٠٠ .

(٥٧) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٥٨) زاهر رياض ، شمال افريقيا في العصر الحديث (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب الاقصى) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣-١٤٤ .

(٥٩) الملكة اليزابيث : هي ابنة الملك هنري الثامن تنتمي الى اسرة الثيودور ذات الاصول الويلزية تولت الحكم بعد شقيقتها ماري الاولى والتي كانت كاثوليكية المذهب بينما تبنت اليزابيث المذهب البروتستانتي المعتدل لقبت بالملكة العذراء ، كما تميز حكمها بالطابع الاستبدادي ، لها الفضل بترسيخ العقيدة الوطنية للمزيد ينظر : www.iripedia.org.com

(٦٠) أ ، ب ،ج روجرز ، العلاقات الانكليزية – المغربية حتى عام ٩٨١ ت يونان لبيب رزق دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨١ ، ص ٤٣ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٦٢) حسن شحاته ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٦٣) نقلاً عن ب.ج. روجرز ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٦٥) شوقي عطا الله جمل ، العلاقات المغربية – الانكليزية ، مجلة المناهل ، العدد الثالث ، حزيران ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٧ .

(٦٦) ب.ج. روجرز ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٦٨) محمد فرج ، الامة العربية على الطريق الى وحدة الهدف (تاريخ الامة العربية من الاحتلال العثمانية الى مؤتمر القمة العربية ١٥١٤–١٩٦٤ ، دار الفكر العربي، بيروت ، د.ت ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٦٩) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص٩١

(٧٠) محمد خير فارس ، المصدر السابق ، ص ٩١– ٩٢ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص٩١–٩٢ .

(٧٢) سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ج٢ ، مطبعة مدبولي ، القاهرة ،د.ت، ص ٤٧ .